

# الرحلات الحجازية وصلة بين ثققتى العروبة

للأستاذ عبد العزيز بن عبد الله

واستقرت في مناطق بابل الى آسيا الصغرى ومنها انطلق الآخيون والدوريون في القرن الثالث عشر قبل الميلاد الى بحر ايجيه لتأسيس متمدنات اليونان . (1)  
نلا بدع اذن أن تستكمل الجزيرة العربية مسارها الحضارى في تاريخ المستقبل لانها هى النبع الوحيد الذى يفيض ليغمر تواريخ الانسانية في كل مكان وخاصة في الممور الذى رنرت عليه الوية الاسلام .

وقد تجلت هذه النفحات في آلاف الرحلات التى دونها المسلمون طوال أزيد من ألف عام في مختلف بقاع الارض ليسجلوا انطباعاتهم وارتساماتهم في طريقهم للاحب السى الحرمين

وقد يكون من العبث محاولة تقصى هذه النفحات بالنسبة لاقليم بذاته فضلا عن المجموع غير أن استعراضا موجزا لرحلات ضمن مكان مخصوص كرحلات المغاربة في مختلف العصور تعطينا صورة عن مدى اسهام الفكر العربى المسلم في هذا الشق الغربى للعالم العربى في دعم مقومات الكيان الذى هو من أبرز مفاخر تراثنا ومظاهر وحدتنا .

وهاكم نبذة يسيرة ونموجا مقتضبا عن الرحالين المغاربة :

— ابراهيم السوسى العينى (المتوفى عام 1199 هـ / 1784 م) .

لا يوجد في تاريخ الانسانية موقع جغرافى حج اليه ملايين البشر في كل جبل مثل الجزيرة العربية ، ولا يوجد موطن استقطب خمس الانسانية في طموحاتها الفكرية وتطلعاتها الروحية مثل الحجاز ، الوطن الروحى الاول لكل مؤمن فادعاء الاغتراب في مهبط الوحى ومنطلق الرسالة المحمدية هو شذوذ في عقيدة كل مؤمن يستشف في مئوى الرسول رمز الرحمة والثالية واشعاع الروح وايباض الوجدان فلذلك لم تعرف مواقع السياحة الدولية مسارا أكثر استرواحا واشد استمراحا من هذه الارض الطاهرة التى ظلت كعبة الرواد منذ انطلقت دعوة ابراهيم الخليل الاب الثانى للبشرية تذكى الائمة والمشاعر خلال أربعة آلاف السنين وثناء القدر الذى هيا لهذه البقعة المقدسة أن تكون منارا للانسانية جمعاء — أن تكون أيضا منطلق الحضارات التى اشعت على الرافدين ونهر بارادا والبحر المتوسط وقد جمعنا الحجج التاريخية النابعة من الحفريات الاثرية ومقارنة اللهجات السامية الدالة على أن الجزيرة العربية هى منبعق الحضارات السامية التى كيفت اقالم الهلال الخصيب وماوراءه اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا ولذلك يمكن القول بان العرب البائدة الاصلية هى التى نزحت من جنوب الجزيرة العربية حول الالف الثانية قبل الميلاد الى جنوب العراق

(1) راجع بحثا حول «اللغة الام» في مجلة اللسان العربى م 11 ج 1

له رحلة الى الحجاز في مجلدين

وقف على نصفها بخط المؤلف في مجلد الرحوم  
العلامة المختار السوسى في قرية داود (تبيلة اكلو  
بضواحي تزنيث جنوبي المغرب) وقد اختصرها محمد  
ابن مسعود المعدرى ووقف على الاختصار كذلك الشيخ  
المختار السوسى وهو مبتور كالأصل

— ابن ابي عسرية أحمد الفاسى النهري  
( 1137 هـ / 1724 م )

له رحلة حجازية نقل عنها صاحب «نشر المثاني»  
في ترجمة ابراهيم بن محمد الشاوى السريفي ونسبها  
له سلطان المغرب مولاى سليمان في كتابه «عناية اولى  
الجد» ولعلها ضاعت

— الازرقى أحمد بن محمد ابو محمد اسحاق  
الخرامى الفاسى له «تاريخ مكة» (نسخة بالمانيا  
الشرقية عدد 1705)

— ابن بطوطة محمد بن عبد الله بن محمد بن  
ابراهيم اللواتى الطنجى (779 هـ / 1377 م)

له «تحفة النظر في غرائب الامصار وعجائب  
الاسفار» وهى لا تزال مفقودة لم ينشر منها الا قسم  
اختصره ابن جزى (بامر السلطان ابي عنان المرينى)  
توجد نسخة منها بمكتبة جامعة القرويين بفاس (عدد  
1285) وست نسخ بالمكتبة الملكية بالرباط من عدد  
(151 الى 1356) ونسخة بالمكتبة العامة بالرباط (عدد  
1376) . طبعت مرارا اعوام 1278 / 1322 / 1346

— ابن جبير محمد بن احمد الكتانى الانطلى  
( 614 هـ / 1217 م )

له رحلة اسمها « تفكرة بالأخبار عن اتفاقات  
الاسفار » نشرها ويليام رايت Wright الانجليزى عام  
1269 هـ / 1852 م) . كما نشرت في ليدن عام 1325 هـ  
1907 م ومخطوطاتها نادرة توجد نسخة مبتورة  
بالزاوية الحمزاوية بالمغرب وأخرى مبتورة أيضا بالمكتبة  
الملكية بالرباط (عدد 5855)

— ابن جزى محمد بن احمد (741 هـ / 1340 م)  
له فهرست كبيرة اشتملت على كثير من رجال  
المشرق ومن بينهم شيوخ الحجاز

— ابن جعفر أحمد الكتانى (1340 هـ / 1922 م)  
له فهرست عد فيها اشيأه المشاركة مع نصوص

اجازاتهم . توجد نسخة عند ولده الاستاذ محمد  
ابراهيم في ثلاثة كرايس .

— ابن جعفر محمد بن ادريس الكتانى ( 1345 هـ  
/ 1926 م )

له «الرحلة السامية للاسكندرية ومصر والحجاز  
والبلاد الشامية» ألفها في رحلته الاولى عام 1322 هـ /  
1904 م ومات دون إتمامها والموجود منها سبعة  
كرايس .

— ابن حسون احمد بن العربى الوزانى  
له «الرحلة الوزانية المزوجة بالناسك المالكية  
(في 8 كرايس) رحل الى الحجاز عام 1269 هـ / 1852

توجد نسخة بخط المؤلف في خزانة الشيخ عبد  
الحنيف الفاسى وأخرى في الخزانة السودية بفاس .

— ابن رشيد محمد بن عمر بن محمد السبتي  
(المتوفى بفاس 721 هـ / 1321 م)

له رحلة تسمى «بلء العيبة بما جمع بطول  
الغبية في الوجهة الوجيبة الى الحرمين مكة وطيبة» (في  
خمس أجزاء مصورة بمعهد مولاى الحسن بتطوان  
وتوجد نسخة بالاسكوريال) .

— ابن سعيد المغربى على بن موسى العنسى  
(685 هـ / 1286 م)

له «النفحة المسكية في الرحلة المكية» (بالإضافة  
الى رحلته «عدة المستنجز» ) .

— ابن سودة عبد القادر بن محمد بن عبد القادر  
ابن الطالب ( ولد عام 1301 هـ / 1883 م ) .

له «الرحلة الكبرى في هذا العالم برا وبحرا»  
( رحل الى الحج عام 1327 هـ / 1909 م ) وهى تقع  
في أربعة أجزاء طبع الاول منها بالمطبعة الجديدة بفاس .

— ابن طوير الجنة احمد المصطفى الصحراوى  
الحميرى الشننجي

له «رحلة المنى والمنا» قام بها بعد عام 1245 هـ  
1829 م وهو غير ابن الطوير عمر المراكشى الذى  
شهر بالحجاز بأبى الخطاب السوسى (المتوفى 622 هـ /  
1225 م)

— ابن الطيب محمد الصملى المتوفى بالمدينة  
النورة 1170 هـ / 1756 م .

- له ثلاث رحلات منها رحلة قام بها عام 1139 هـ / 1726 م توجد نسخة نفيدة منها في خزانة ليبسيك Leipzig (بالمانيا الشرقية) وقف عليها الاستاذ محمد الفاسي .
- ابن عثمان محمد المكتاسي وزير السلطان المولى سليمان (1202 هـ / 1787 م)
- له «أحراز المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والتبرك بقبر الحبيب» (نسخة لابن زيدان ضمت الى المكتبة العامة بالرباط) .
- ابن العربي المعافري أبو بكر محمد بن عبد الله (543 هـ / 1148 م) .
- له رحلة توجد نسخة منها في مكتبة السيد عبد الحى الكتانى التى ضمت الى المكتبة العامة بالرباط وهى فى أسفار ذكرها الناصرى فى رحلته وأشار إليها المراكشى فى الاعلام ج 5 ص 223) .
- ابن مليح محمد بن أحمد السراج .
- له «رحلة حجازية اسمها» انيس السارى والسارب من مطار المغرب الى منتهى الآمال والمآرب وسيد الإعاجم والإعرب» .
- ارتحل من مراكش عام 1040 هـ / 1630 م صحبة الركب الحجازى (نسخة بالمكتبة الكتانية فى عشرة كرايس عدد 3152) . وقد حققها الاستاذ محمد الفاسي .
- ابن ناصر محمد بن عبد السلام (1239 هـ / 1823 م) .
- له «الرحلة الكبرى» فى سفرين رحل عام 1196 هـ 1781 م اختصرها المراكشى فى الاعلام (ص 193 — 233) — توجد نسخة فى خزانة تامكروت فى جزء ضخمة ونسخة بالمكتبة العامة بالرباط عدد 2327 (النصف الاول) والمكتبة الملكية بالرباط عدد 147 .
- له رحلة صغرى قام بها عام 1211 هـ / 1776 م (مجلد وسط فى الخزانة الاحمدية) .
- أبو راس محمد بن أحمد بن عبد القادر الناصرى المسكرى الجزائرى الجليلى (1239 هـ / 1824 م) .
- له عجائب (أو غرائب) الإسفار (نسخ بالجزائر عدد 1632 وتلمسان عدد 96 وبباريس عدد 5114) .
- أبو القاسم بن يوسف التجيبى السبتي رحل الى المشرق عام 696 هـ / 1295 م .
- له رحلة وقف عليها ابن حجر (كما فى «الدرر الكامنة») فى ثلاثة مجلدات ضخام هذا فيها حذو ابن رشيد الذى رحل قبله بعشر سنوات وزاد هو تضيفين الرحلة مشيخته مستوعبة .
- أحمد الشيخ بن عبد العزيز بن الرشيد الهلالى (1175 هـ / 1761 م)
- له رحلة الى الشرق .
- أحمد بن عبد القادر بن على القادري يدعى علاا عاش سبع سنوات فى القاهرة وتوفي بفاس 1133 هـ / 1721 م .
- له رحلة سماها : «نسمة الآس فى حجة سيدنا ابي المباس» (أى أحمد بن معن الذى رافقه الى الحج عام 1100 هـ / 1689 م) توجد فى المكتبة الملكية عدد 8787 وكرايس منها فى الخزانة الفاسية .
- أحمد بن على بن محمد دينية الرباطى (1282 هـ / 1864 م) .
- له رحلة الى الحج (1267 هـ / 1850 م) ذكرها حفيده فى كتابه «النسمات الندية (طبعة الرباط 1936) .
- أحمد بن محمد أحزى الهشتوكى .
- له رحلة اسمها «هداية الملك العلام الى بيت الله الحرام وزيارة النبی عليه الصلاة والسلام» (توجد بخط المؤلف بخزانة تمكروت بالصحراء رقم 276) وقد شرع فى هذه الرحلة عام 1096 هـ 1684 م .
- ادريس بن عبد الهادى الشاكرى (1331 هـ / 1913 م)
- له رحلة حجازية فى كراستين توجد نسخة منها فى المكتبة العامة بالرباط عدد 1115 ونسخة اخرى فى مكتبة الكلاوى ، وقد حج عام 1288 هـ / 1871 م وفى رحلة ثانية الى الحج تسمى بالحجاز .
- الحسن اليوسى له رحلة جمعها ولده محمد تام بها عام 1101 هـ / 1689 م
- توجد نسخة منها فى المكتبة الملكية بالرباط عدد 2343 .
- عبد الرحمن المدعو الغنامى الشاوى .

له رحلة اشار اليها صاحب «صفوة من انتشر»  
ونقل عنها في «نزهة الحادي» .

— عبد السلام بن محمد بن المعطى السمرغيني  
الممرانسي المراكشي .

له رحلة قام بها مع شيخه سيدي محمد الكتاني  
عام 1321 هـ / 1903 م توجد نسخة منها بخزانة الكتاني  
بالمكتبة العامة بالرباط .

— عبد القادر بن ابي جيدة احمد الكوهن .

له رحلة حجازية توجد نسخة منها بخزانة الكتاني

— عبد الله بن احمد ابو مدين الروداني الدرعي

(1137 هـ / 1723 م) .

له رحلة حجازية ينقل عنها ابراهيم العيني في

رحلته (نسخة بخزانة تمكروت في مجلد) .

— عبد الله بن محمد الوردى المراكشي ( كان حيا

عام 999 هـ / 1590 م) .

له رحلة حجازية (ذكرها ابن القاضى في درة

الرجال ج 2 ص 342) .

— عبد الله بن محمد بن ابي بكر ابو سالم

العياشى (1090 هـ / 1679 م)

له رحلة اسمها «ماء الموائد» في مجلدين طبعت

بفاس عام 1316 هـ / 1898 م

اختصرها محمد بن الحسن بناني (المكتبة الملكية

نسخ عدد 629 الى 5259) ورحلة اخرى سماها

«تعداد المنازل» ألفها لتلميذه احمد بن سعيد المكلتاسى

نسخة بخزانة الشيخ عبد الحفيظ الفاسى

— عبد المجيد بن على الزبيدى المنالى الفاسى

1209 هـ / 1794 م

له رحلة سماها «بلوغ المرام بالرحلة الى بيت الله

الحرام» توجد نسخة منها في المكتبة العامة بالرباط رقم

1808 د (في 184 ورقة) واخرى بالخزانة الفاسية وقد

تضمنت تصيدة رائية في 129 بيتا جامعة لمراحل

الحجاز من مصر الى مكة مع مناسك الحج عليها شرح

اسمه «اتحاف المسكين الناسك ببيان المراحل والمناسك

لاحد تلاميذه تلاميذ الزبيدى .

— عبد الواحد بن الصنهاجى السوسى (1135 هـ

1722 م)

له رحلة ذكرها الشيخ الحضيكى في الطبقات

— العربى بن على المشرفى المسكرى المتوفى

اوائل العشرة الثانية من القرن الرابع عشر له «الرحلة

العريضة في اداء الفريضة» يوجد طرف منها في الخزانة

السويدية بفاس

— العربى بن محمد الدمناتى

له رحلة ذكرها ابو عيسى المهدي بن سوادة في

ترجمته من فهرسته وقد رحل قبل 1244 هـ / 1828

وهي تعد مفقودة

— محمد بن احمد بن عبد الله الحضيكى

له رحلة حجازية (نسخة بالمكتبة العامة بالرباط

عدد 896) واخرى بالمكتبة الملكية عدد 405

— محمد بن الحسن السيمى

له رحلة قام بها عام 1310 هـ / 1892 م (توجد

نسخة منها بمكتبة الكتاني الملحقة بالمكتبة العامة

بالرباط) .

— محمد بن سعيد الرعيني الفاسى (778 هـ /

1376 م) .

له رحلة نظم فيها مراحل الحجاز (جذوة الاقتباس

ص 147) .

— محمد بن سليمان بن داود الجزولى (863 هـ

1458 م)

له رحلة ذكرها ابن القاضى في «لقط الفرائد»

— محمد بن عبد القادر الاسحاتى المدعو

الجيلالى المتوفى بعد 1150 هـ / 1737 م

له رحلة قام بها عام 1143 هـ / 1730 م مع

السيدة خنائة بنت بكار ام السلطان مولاي عبد الله بن

المولى اسماعيل العلوى (تقع في مجلدين يوجد الاول

بخزانة جامعة القرويين ) عدد ج ل 80 — 383 .

— محمد بن عبد الله الولاى الشهرى بمولاي

الشرىف (1101 هـ / 1689 م)

له رحلة حجازية ربما ضاعت (الاعلام للمراكشى

ج 5 ص 48) .

— محمد (اوحى) بن عبد الوهاب الوزير الفسائى

(1119 هـ / 1707 م)

«رحلة الوزير في افتكك الاسير»

له رحلة أخرى الى الحجاز

— محمد بن علي الراقمي التطوانسي

له الرحلة الشرقية الحجازية (توجد نسخة منها  
بمخزنة الاستاذ محمد داود بتطوان ) ( تاريخ تطوان )  
ج 1 ص 312 .

— محمد بن علي الطرابلسي المعروف بزغوان  
له رحلة اسمها «النفحات القدسية في الرحلة  
الحجازية» (توجد نسخة بالمكتبة العامة بالرباط عدد  
1836 د (في 103 ورتات) .

— محمد بن علي المعروف بالعباشي (لقبا لانسابا)  
له رحلة حجازية ذكرها عبد المجيد بن علي  
الزيادي المثالي في رحلته حيث وقف عليها في مجلد بخط  
المؤلف بمخزنة رواق المغاربة بالازهر الشريف .

— محمد بن محمد الرباط الدلائسي الفاسي  
(1099 هـ / 1687 م)

له الرحلة المقدسة (136 بيتا) فذكر فيها منازل  
الحج من فاس الى المدينة المنورة (راجع البذور الضاوية  
لسليمان الحوات)

— محمد بن محمد بن علي العبدري المتوفى آخر  
المائة السابعة .

له رحلة قام بها عام 688 هـ / 1289 م تقع في  
مجلد وسط توجد نسخ بالزاوية الحماوية بالمصحاء  
المغربية وبالمخزنة الاحمدية بفاس وبمخزنة جامعة  
القرويين (عدد د 1012) والمكتبة الملكية بالرباط (1351  
6594 / 869 / 2810 وجامع الزيتونة (53) والمكتبة  
الوطنية بباريس (2283) وليدن (801) والاسكوريال  
(1738) اختصرها ابن تينغ في كتاب سماه «المسافة  
السنية في اختصار الرحلة العبدرية» (وقف علي  
الاختصار بسوس الشيخ المختار السوسي (راجع كتابه  
« من خلال جزولة » ) .

وقد طبع الرحلة الاستاذ محمد الفاسي عام  
1968 ، وكان لرحلته اثر كبير في الشرق حيث قرأ علي  
شيوخ جلة وتتلذذ عليه آخرون .

— محمد بن محمد بن محمد التامراوي (1285 هـ  
1868 م)

له رحلة قام بها عام 1242 هـ أوردها بنصها  
محمد المختار السوسي في كتابه المعسول ( ج 8  
ص 198 — 213 ) .

ومن فوائد الرحلة استيراد المؤلف لكتب كثيرة  
بخط مشرقى عززت التبادل الثقافي بين المشرق  
والمغرب (1) .

— محمد بن منصور العامري التازي (المتوفى  
حوالي 1170 هـ / 1756 م)

له «الرحلة العامرية» وصف فيها المراحل من  
تازة الى الحرمين والشام وهي همزية نظمها في 335  
بيتا عام 1152 هـ توجد نسخة بالمكتبة الاحمدية بفاس  
ونسختان بمكتبة الاستاذ محمد المتوفى بمكناس احدهما  
بخط المؤلف وقد نشر المتوفى نص هذه الرحلة في كتابه  
«ركب الحج المغربي» ص (88)

— نظم مراحل الحجاز مع شرحه لابن غازي  
المكناسي (النيل ص 272) ، وهناك رحلات أخرى غير  
هذه يتعذر استيفاؤها وانما اعطينا نماذج لنلمس مدى  
اهمية هذا النوع من التراث في القاء اضواء كاشفة علي  
جوانب خاصة من تاريخ الجزيرة العربية والاقطار  
الواقعة في طريق الحجيج وهي دول المغرب العربي  
وليبيا ومصر بالنسبة اليها نحن المغاربة الرابضين بين  
البحر المتوسط والمحيط فهناك مثلا رحلات سوسية  
كثيرة منها في خصوص القرن الثاني عشر فقط علاوة  
علي ما ذكرنا رحلة ابي مدين ورحلة البيوركي ورحلتنا  
احمد احوزي الكبرى والصفري ورحلة عبد الواحد  
ابن الحسن الصنهاجي وغيرهم .

ولا توجد في جغرافية «المسالك والممالك» قطعة  
من الارض حظيت بعناية الرحالين والمؤرخين مثل  
الطرق الكبرى المؤدية الي الحجاز التي صنفت فيها مات  
الكتب المختلفة المنازع والاساليب ومات القصائد  
الحافلة بوصف المنازل والمراحل علاوة علي ما تطلع به  
من مشاعر الحنين التي جعلت من هذه الطرق لا  
متمبذات فقط بل مجيعات استوتقت عبرها الصلات  
بين الشعوب الاسلامية ومبادلة الاجازات بين العلماء  
وتلاحق الفكر العربي والاسلامي مما لم يعرف له نظير  
حتى بعد عصر النهضة وما طرا من سهولة وسرعة علي  
المواصلات .

(1) راجع كتابنا «رسل الفكر بين الشرق والغرب» في مختلف المعسور .

على منجزاته العلمية مثبتة بأرقامها في سجلات المكتبات المغربية العامة ويبدأ الآن « معهد المخطوطات » التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تصارى الجهد لتصوير التراث وجعله في متناول الدارسين والباحثين من أجل تحقيقه وطبعه ولنضرب أمثلة بـدى تنوع مجالات ومجالى جوانب من تراثنا لم نتمكن بعد من تقييمها وبعضها منتشر في مخطوطات التراث فاذا اقتصرنا على من رحل من المغاربة الى الشرق للحج أو الجوار دون تصنيف رحلات خاصة عن أسفارهم وجدنا كثيرا من هؤلاء قاموا بدور طلائى في بلورة التبادل بين أجزاء العالم الإسلامى وقد كتبنا بحثا بعنوان « رسل الفكر بين الشرق والمغرب » لحنا فيه الى أهمية هذه الجوانب .

ومن هؤلاء : أحمد بن عبد الله الغربى الرباطى الدكالى (1178 هـ / 1764 م) رحل الى المشرق عام 1140 هـ / 1727 م وأخذ عن شيوخ مصر والحرمين وطار صيته في الحجاز فأصبح أحد سفراء الشرق لا في المغرب الاقصى وحده بل من فاس الى (داكار) نظرا للدور الذى كانت تقوم به جامعة القرويين وعلمائها بين الشناقطة وأهل السنغال من خلال مذهب واحد نفلت جذوره في قلب الحواضر والصحارى وهو مذهب ائام المدينة مالك بن انس ويكنى ان نلاحظ ان المسمى على بن عبد القادر الشرقى باشا السودان (أى السودان الغربى أو السنغال الحالية) هو الذى ترأس ركسب حجيج السودان عام 1040 هـ / 1630 م محبة الرحالة المغربى ابن المليح الذى أشرنا آنفا الى رحلته حيث كانت مواكب الحجيج من (داكار) الى فاس تتجمع لتأليف قوافل ما يمكن ان نسميه اليوم بأفريقيقا الشمالية الغربية .

وبعض هؤلاء الحجاج الذين لم يضموا الرحلات منفوا في « مناسك الحج وءاداب الزيارة » كأحمد بن تاسم جسوس (1331 هـ / 1912 م) الذى توجد مخطوطة كتابه في المكتبة العامة بالرباط عدد 1821، وأحمد بلقاسم الكرسيفى السوسى .

ومن المغاربة الذين جاؤوا في الحجاز وطافوا الممور ناقلين روائع الفكر الإسلامى الحجازى وخاصة المكى والمدنى الى مختلف الجهات :

— سليمان بن أحمد الطنجى المتوفى قبل 440 هـ

1048 م

بل ان طرقا صوفية سنية كطريق أبى محمد صالح دفين آسفى (وهو من رجال القرن الثامن امتدحه شعراء الشرق مثل البوصيرى) اقتصر شعارها الصوفى على ترحيل الحجيج من المغرب الى الحجاز وتوفير النزلات ومتطلبات السفر على طول المراحل وخاصة خلال الصحراء وكان هؤلاء الحجيج الذين لم تكن تخلو منهم الجادات والسبل الكبرى طوال السنة يتواكبون في ركب موصول يسمى «الركب الصالحى» يستهدف بالإضافة الى أداء فريضة الحج توثيق الرباط بين الشعوب الإسلامى وكانت لأمواج الحجيج قوافل تنحدر من شنقيط وكبريات عواصم المغرب لتتجمع بسجلماسة أو مراكش أو فاس ومنها تتخذ طريقها متكافة عبر ما سباه الرحالة ابن المليح بطريق الفقهاء أى فقهاء المذهب المالكى الذين كانوا ينازرون عن متجمعات الخوارج في بعض مناطق المغربين الاوسط والأندسى للانسلال من بلاد (فزان) الى أرض الكنانة .

وقد تبلور نتاج هذه الروابط علاوة على الرحلات فيما صنفه العلماء من فهارس واثبات سجلوا فيها اجازاتهم وارتساماتهم وما جنوه من ثمار خلال رحلاتهم فلم يقل هذا النوع من المعلومات فائدة ولا عائدة عن مضامين الرحلات وكانت الصلات حقا متبادلة الا انها نادرة بالنسبة للواردين على المغرب من الشرق ومع ذلك فان فكرهم التابع من اجازاتهم ودروسهم ومؤلفاتهم كان يرحل الى المغرب مع المعاندين فيسهم بحظ وافر في اثراء المكتبة العربية الإسلامى في المغرب العربى ومازالت مكتبائنا العامة والخاصة تزخر بنسواد المخطوطات الشرقىة التى ضاع بعضها في الشرق واحتفظ المغرب بأصولها الفريدة ويندهش الباحث المشرقى عندما يتصفح فهارس المخطوطات بالمغرب فيجد مات المصنفات الاصلية التى لا تعرف مكتبات الشرق الا عناوينها محفوظة مصونة تنتظر توثيق التعاون بين شقى العروبة لاحياء هذه المعالم الناصعة لتراثنا المشترك وهو عمل يجب ان لا نتوانى في وضع التخطيطات الرصينة لبعثه لانه لا يقل أهمية عن باقى مقومات تراثنا ودعامات كياننا الحضارى ، وقد حاولنا استيفاء ما لدينا من عناصر هذا التراث في العملية التى اصدرناها بعنوان « الموسوعة المغربية للأعلام الحضارية والبشرىة » والتى طبع منها لحد الآن خمس فصالات من خمسين تحتوى بالنسبة لكل عالم مغربى

(جذوة المقتبس من 208 طبعة 1952)

— موسى بن إبراهيم أبو هارون الإفماني المحدث (516 هـ / 1122 م) الذي التحق بعد مقام في الحجاز بمصر وخراسان وما وراء النهر وأقام بنيسابور (طبقات السبكي ومعجم ياقوت الحموي)

— علي بن عتيق بن عبد الرحمن الفاسي الاصولي المفسر الحافظ (كان حيا عام 726 هـ / 1325 م) الذي استقر بعد في « صغد » قبل العودة الى المغرب .

— محمد بن موسى المراكشي المكي الذي سمع من شيوخ مصر ثم رحل الى الشام والقدس واليمن حيث ولى مدرسة الناصر وأقام بها الى أن توفي عام 823 هـ / 1420 م (الاعلام للمراكشي ج 4 ص 50 / ذيول طبقات الحفاظ) ، وقد أجاز له ابن عرفة (شذرات الذهب ج 7 ص 162) .

— محمد بن محمد العتاد المكي (1030 هـ / 1620 م) الذي مدح المنصور السعدي ملك المغرب بموشحة عارض فيها موشحتي ابن الخطيب وابن سهل وتولى قضاء اليمن بتدخل المنصور لدى خاتان ملك الاتراك .

— محمد الجبدي اليعقوبي المغربي الذي كان احد اربعة لم يبلغ أحد مبلغهم في عصره وهو القرن الثاني عشر الهجري وكانت له جولات في الحجاز وسائر اقطار الشرق ، وقد أورد بعض طولاء الشيوخ علماء الشرق او بعض عواصم الشرق بالتأليف حيث صنف (جازم) صاحب المقصورة وشيخ ابن رشيد السبتسي «الدرة المضية في تاريخ الاسكندرية» في مجلدات «والمستفاد من شيوخ بغداد» (درة الحجال ص 137) وماتاب عواصم الشرق هو قتل من كثر مما كتب حول الحرمين الشريفين .

— عبد الله السوسى الاديب الشاعر الذي أقام بتونس وفاق أقرانه ثم توجه الى الشرق وخاصة الحجاز واستفاد من علمائه وعاد الى افريقية حيث نقله الامير على الى تونس (عيون الاريب عما نشأ بالملكة التونسية من علم ابيب للشيخ محمد النيفرج 2 ص 20 طبعة تونس 1351) .

محمد بن خليفة المدني الرحالة الشاعر الذي تولى بكناس (1313 هـ / 1895 م) (الاعلام للمراكشي ج 6 ص 178 — مخطوط) .

— محمد الفاطمي بن الحسين الصقلي الشاعر المحاضر لدين المدينة المنورة (1311 هـ / 1893 م) .

له تاريخ في علماء عصره (الاعلام للمراكشي ج 6 ص 157 — مخطوط) ، وقد امتحنه بشيخه علي بن ظاهر الوتري مسند المدينة المنورة (1261 هـ / 1322 م) الذي زار المغرب مرتين (1287 و 1297) واخذ عن علماء مغاربة جلة وابن ظاهر هذا هو الذي أحيى موات الرواية بالمغرب واتعشها بالشرق (الاعلام للمراكشي ج 7 ص 135 — مخطوط) .

— محمد بن احمد بن سالم الصباغ المكي الذي توفي في رحلته الى المغرب (1321 هـ / 1903 م)

له «تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام» (الاعلام للزركلي ج 6 ص 247 / ملحق بروكلمان ج 2 ص 815 / دار الكتب المصرية ج 5 ص 125) .

وهناك كتب أخرى انتشر خلالها تاريخ رجال الفكر من علماء الحجاز ككتاب «ايماض البرق في أعيان الشرق» لابن البار البلنسي (658 هـ / 1259 م) واسماء شيوخ مالك لابن خلفون (636 هـ / 1239 م) (توجد نسخة منه بالاسكوريال 1747) ومسند حديث مالك لابن الدباغ خلف بن تاسم (393 هـ / 1003 م) وشروح الموطن كشرح ابن صاب الفاسي (642 هـ / 1244 م) و«تهذيب المسالك في نصرة مذهب مالك» لابن دوناس الفند لاوي (543 هـ / 1148 م) (توجد نسخة منه في المكتبة الحمزاوية بصحراء المغرب) والتمهيد لابن عبد البر وشروح أبي بكر بن العربي المعاني وشروح ابن السيد البطليوسي (521 هـ / 1127 م) و«المرعب في شرح الموطن» لابن الصغار يونس (429 هـ / 1038 م)

تلك فذلكة مقتضبة يتضح لنا من خلالها مدى ما يمكن ان نستعيده من بعث تراثنا العربي الاسلامي في مختلف مظاهره ومعطياته وهو بعث كتيل بالاسهام في دعم تاريخ العروبة والاسلام وخاصة في مهدها بالجزيرة العربية عموما والحرمين الشريفين خصوصا كما يتضح لنا منها مدى متانة الروابط وعمق الصلات التي كانت تجمع بين شقي العروبة شرقا وغربا والتي جعلت من أرض الحجاز مهبطا لامتدادها ، وملتقى لعلماها ومنزلا روحيا لابنتها على مر العصور .